

والعوم من كل الاصناف واللحم النيء والبيض والاصداف والنباتات الخالية من النشاء كاللوبيا - أخضراء والهندبة والكرفس والكرفب والخس والبكويت وخبز الخشكريش الذي وصفه الدكتور فاندريك في كتابه

القسم الثاني ما يجوز استعماله قليلاً ارضاء لشهوة النفس من وقت الى آخر وهو الحليب وبعض الاثمار كالليمون والخبز المحمر

والقسم الثالث ما لا يجوز للعليل ان يذوقه ابداً كاللبن والغب والبطاطس والارز والعدس والكعك والمواد السكرية كاللبس والعسل الخ

(٢) الاحياطات الصحية كلبس الفلانلا واطمام السخن وتغيير الهواء

(٣) المقويات لآلة الجسم ومقاومة كل ما ييجد بما يناسبه. واما الادوية التي تستعمل

لشفاء العلة فلا تجدي نفعاً وقد مدح بعضهم استعمال الايون والبلادونا وبروميدي البوتاس وادوية اخرى من هذا القبيل ومدح بعضهم اخيراً استعمال البنكرياتين بناء على ان ضعف غدة

البنكرياس هو السبب فزعم انه اذا استعملت هذه الغدة اكلاً ثابت عن وجود الغدة في جسم العليل ويظهر ان الاطباء لم يهتموا لذلك حتى الآن فالحمية في الطعام خير الوسائل

سنية \* في السفر الثالث من هذه المقالة كفة البول صوابها الدم

## النار والسيف في السودان

المهدي ودعوتة

وصلنا في الجزء الماضي من المقتطف الى الكلام على سليمان بن الزبير وتعيينه مديراً لبحر الغزال وشاية ادريس الابر يه . وتقول الآن ان وشاية ادريس هذا صدقت فعين مديراً لبحر الغزال بدلاً من سليمان بن الزبير وأرسل اليها بالجنود فتارت الحرب بينهما ودارت الدائرة على سليمان اخيراً ووشى به اعداؤه الدناقلة واوغروا صدر جسي باشا قائد الحملة عليه واقنعوه انه لا يزال عاملاً على الثورة فامر بقتله . وكان عبده راجح قد قدر له ذلك ونهاه عن التسليم وحضه على الابعاد عن الحكومة والايغال في البلاد بكلام يدل على شدة دهائه وحسن نظره في العواقب . قال انك ناوت الحكومة بعد ان حذرتك العواقب فلا لتوقن منها غفواً اذا صرت في قبضتها اما انا فيسوفني الاتصال عنكم بعد ان شارككم في السراء والضراء هذه السنين الطوال وكنتي لا اسلم نفسي لجسي وان كان اورياً لان

الدناقلة محيطون به وهو مطواع لم. ثم ذكروهم بالعداوة القديمة بين الجعليين والدناقلة وشار عليهم بالذهاب غرباً وفتح بلدان جديدة أو برفع شكواهم إلى الحضرة اخذوية وإلى غوردون باشا وطلب العفو منهما. وقال انهم ان لم يقبلوا رأيه الاول ولا الثاني اضطر إلى الاتصال عنهم رغماً عنه. فانفصل وجرى لم بعده ما جرى

وذهب سلاتين إلى دارة واقام فيها وحارب السلطان هرون إلى ان قُتل في شهر مارس (اذار) سنة ١٨٨٠. ودانت له بلاد دارفور بعد حروب كبيرة وقمع ثورات عديدة فاصح شؤنها ونظم امورها واحبب اهلها واکرموه اكراماً عظيماً حتى كانوا يفتدونه بارواحهم وفي تلك الاثناء ظهر المهدي وانتشرت دعوتة في السودان واسمته محمد احمد ولد بجزيرة ارقو في دنقلة من عائلة فقيرة تدعي انها من الاشراف. وابوه فقيه فعمله القراءة والكتابة ومار به الى الخرطوم وهو صغير السن لكنه مات في اثناء الطريق. ثم لما عظم شأن ابنه بنى قبة على قبره وتسمي قبة السيد عبدالله الى اليوم

وعكف محمد احمد على الدرس فاستظهر القرآن ودرس علم التفسير ثم مضى الى بربر وانتظم في حلقة محمد الخير فاتم دروسه واقام فيها ولا هم له الا الدرس والزهد ولما بلغ اشدّه ذهب الى الخرطوم وانتظم في حلقة الشيخ محمد شريف بن الشيخ نور الدائم بن الشيخ الطيب من شيوخ الطريقة السمانية فاخذ عنه. ثم انتقل الى جزيرة عبة في النيل الابيض واجتمع عليه نفر من التلامذة فكانوا يعيشون بزرع الارض وبما يعطيهم المارون في النيل من الصدقات. واحتفل بعضهم بختان اولاده ودعا جمعاً غفيراً واذن لهم ان يغنوا ويرقصوا قائلاً ان الله يغفر ما يرتكبونه حينئذ من الذنوب. فنهام محمد احمد عن ذلك وقال ان الشريعة لا تجيز الرقص والغناء ولا احد يجيزها ولو كان شيخ الطريقة نفسه. وبلغ ذلك محمد شريف فاغتاظ منه واستخضره فحضر خاضعاً ذليلاً وطلب العفو فلم يعف عنه بل وبجته تويجاً صارماً وبما اسمه من الطريقة السمانية وكان ذلك امام كثيرين من الفقهاء

وعاد محمد احمد الى الشيخ محمد شريف متذلاً والرماد على رأسه والشباب في رقبته وطلب العفو منه فلم يعف عنه بل صرفه ذليلاً وقال له اذهب فقد صدق نيك المثل القائل "الدنقاوي شيطان مقلد في جلد انسان". فعاد وقد خنته الدموع ولكنها لم تكن دموع الحزن بل دموع الغيظ والعجز. ثم اخبر تلامذته ان الشيخ محمد شريف طرده بتاتا وانه عازم على الالتجاء الى الشيخ القرشي وهو من شيوخ الطريقة السمانية ايضاً وكان بينه وبين الشيخ

محمد شريف بمناظرة شديدة . وبلغ الشيخ محمد شريف بذلك فاستدعاه اليه ووعدته بالصغ فابى قائلاً اني لا اريد ان ننداني لدنقلاوي مثلي . ورحب به الشيخ القرشي فاشترى ما دارينته وبين شيخه الاول واستظمه الناس لانهم لم يسموا شيخاً صغيراً مثله يرفض الصغ من شيخ كبير . واذاغ محمد احمد انه انفصل عن شيخه لانه وجدته يخالف الشريعة والسنة وقد صوب كثير من ما فعله وبلغ صيته بلاد دارفور وتحدث به الخاصة والعامة . ولما عاد الى بيته في عبة جاءه الزوار من اماكن كثيرة معجبين بحجراته واهدوا اليه هدايا كثيرة فقبلها منهم شاكرآ ووزعها على الفقراء زهداً فأطلق عليه اسم الزاهد . ثم جال في بلاد كردفان وألف رسالة دعا بها المؤمنين الى تطهير البلاد من مفسد الحكماء ووزعها على اخصائيه

وبعد ايام قليلة توفي الشيخ القرشي فذهب محمد احمد وتلامذته وبنوا قبة على قبره . واتاه حينئذ عبد الله بن محمد النعاشي ( من تعيشة قبيلة من قبائل البقارة ) وطلب الانظام في الطريقة السبانية واقسم له بين الطاعة . وكان لعبد الله ثلاثة اخوة اصغر منه وهم يعقوب ويوسف وسماي واخذت اسمها فاطمة وكان ابوه قد اخنصم مع اقاربه وعزم على الذهاب الى مكة بارلاده والقيام فيها ويقال انه كان رجلاً ثقيلاً ورعاً يداوي الامراض بكتابة الحجب وكان عبد الله ويوسف اشقى اولاده وقد تعذر عليه ان يعلمهما ما يلزمهما حفظه من القرآن اما يعقوب وسماي فكانا مثله في الطبع والتدين والحفظ

وكانت عائلة عبد الله من الذين قاوموا الزبير حينما دخل دارفور فأخذه الزبير اسيراً وامر بقتله ولكن تشفع فيه بعض العلماء فاطلقه . ثم اتاه عبد الله وقال له حملت انك انت المهدي المنتظر واني ساكون من اول انصارك فقال له الزبير انا لست المهدي ولكني لما رأيت العرب سدوا طرق التجارة اتيت لانتجها

ثم بلغ عبد الله ما حدث بين محمد احمد والشيخ محمد شريف فعزم ان يلحق بمحمد احمد وبلغه بعد عتاء شديد فوجده بين قبر الشيخ القرشي فاقسم له بين الطاعة كما تقدم . ودعا محمد احمد واحداً من تلامذته اسمه علي واوصاه به فجعل يساعدهم في بناء القبر ولما اتوه عادوا الى عبة . وأصيب عبد الله هناك بالدوسنطاريا فأخذه علي الى كوخه واعتنى به وذهب يوماً ليجلب له ماء من النهر فاقترسه تمساح . وعاده محمد احمد حينئذ ورأى اشتداد المرض عليه فنقله الى كوخه وسره اليه انه هو المهدي المنتظر . هذا ما قاله عبد الله النعاشي لسلاتين باشا بعد ذلك . ولعل عبد الله هو الذي اغرى محمد احمد بهذه الدعوى كما اراد ان يفري الزبير .

وكان اسم محمد احمد قد ذاع في الجزيرة كما تقدم وجاهر بانته عازم على تطهير الارض من  
 الماسد . واخبره عبد الله عن احوال القبائل في البلاد الغربية واستعدادهم للحرب و اشار  
 عليه ان يذهب اليهم ويحثهم على ذلك فذهب الى دار حجر اولاً ثم الى الابيض وزار  
 الشيوخ والروساء واخبرهم بغرضه قائلاً ان الله دعاه ليطهر البلاد من الماسد . ولكنه قال  
 لم انه لم يحن الوقت لذلك واخذ عليهم العهد الوثيقة انهم لا يفشون ما اخبرهم به الا بعد ان  
 ينهض للقيام بدعوته . ورأى حينئذ ان الاهالي يكرهون الحكومة لشدة وطأتها عليهم  
 ويميلون الى الثورة ولا سيما بعد ان عين غوردون باشا الياس باشا السوداني مديراً عاماً على  
 كردفان ووقعت المناظرة بينه وبين غيره من السودانيين الذين كانوا يعدون انتهم احق  
 منه بهذا المنصب

قال سلاتين اما الاوربيون الذين كانوا هناك فكانوا محبوبين غالباً الا ان منهم تجارة  
 الرقيق اغاظ السودانيين فحقوقوا عليهم ايضاً . ورأى محمد احمد تقور الاهالي من رجال الحكومة  
 عموماً ورأى ايضاً انه لا يمكنه ان يجمع كلمتهم الا على مسألة دينية لاختلاف شعوبهم  
 وعصبياتهم فادعى انه المهدي المنتظر وان غرضه ان يطهر البلاد من الاثراك والمصريين والادريين  
 ويظهر لنا من قرآن كثيرة ان عبد الله التعايشي هو الذي اغراه بذلك وسؤل له الحصول عليه  
 وكان محمد شريف قد اخبر رؤوف باشا مدير عموم الخرطوم بمقاصد محمد احمد ولكن  
 رؤوف باشا حمل ذلك على ما بينهما من العداوة . ثم لما بلغه تفاقم الخطب اوجس خيفة فعزم  
 ان يتدارك الشر في اوله وبعث بمحمد بك ابي السعود الى عبة وامره ان ياتي بمحمد احمد  
 الى الخرطوم . وبلغ الخبر محمد احمد وما اصحرت له الحكومة فلما جاءه ابو السعود و اشار عليه  
 بالحياء معه الى الخرطوم ليبريء نفسه مما نسب اليه ضرب صدره وقال ابي نقول هذا القول  
 وانا سيد البلاد بنعمة الله ورسوله . فاجفل ابو السعود وحاول تسكين جاشه اما هو فزاد حدة  
 ونصح لابي السعود ان يؤمن به . وكان قد دبر امر هذه المقابلة بمشورة عبدالله التعايشي  
 واخيه . فعاد ابو السعود الى الخرطوم وهو لا يصدق بالنجاة واخبر رؤوف باشا بما سمع .  
 ورأى محمد احمد ان قد حانت الفرصة لمناوأة الحكومة واذا لم يفتنهما دارت الدائرة عليه  
 فكشب الى اصدقائه في جهات السودان يحثهم على الثورة وحث اخصاءه على الجهاد  
 وعاد رؤوف باشا فارسل ضابطين ( يوز باشيين ) مع ابي السعود وفرتين من المساکر  
 ليأتوه به ورأى ان ينهض همة الضابطين فقال لها ان من يأتي بي اعطيه رتبة بكباشي . فادت  
 المناظرة بينها الى المناقضة وحبطت مساعي الاثنين . وعلم محمد احمد ذلك فادعى ان الله امره

بالجهاد واوحى اليه ان من يُقتل فيهِ يُلقب امير الاولياء ويُعمل في رتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني . وهجم اليوزباشيان عليه من جبينين متقابلتين وها لا يعرفان البلاد وجعلوا يطقان البنادق على اكوامه وكان قد خرج منها رجاله واختبأ في المشيم فاصاب الجنود بعضهم بعضاً وفيما هم كذلك باغتهم رجاله واعملوا فيهم السيوف والحرايب ففرقوا ايدي سبا وهرب قليلون منهم ونجوا سباحة الى السفينة وكان ابو السعد في انتظارهم فيها لانه لم يجسر ان ينزل الى البر فعاد بهم الى الخرطوم .

وجرح محمد احمد في ذراعه حينئذ ولكن عبد الله النعاشي ربط الجرح واثار عليه ان لا يخرج احداً به . وذاق انتصاره على رجال الحكومة ولكن الناس خافوا من اتباعه لانهم كانوا يعلمون ان لا قبيل له بناوأة الحكومة . فاثار عليه عبد الله ان يبعد عن الخرطوم ما استطاع الى جنوبي كردفان . واذاع انه اوحى اليه ان يضي الى جبل ماسا ويتنظر الاعلان الالهي . ثللاً يقال انه هرب من وجه الحكومة . وعين له اربعة من الخلفاء قبل ان ترك عبة بمنزلة الخلفاء الراشدين اولهم عبد الله النعاشي وثانيهم علي ولد حلو من قبيلة الدقيم ورابعهم محمد الشريف وهو من اقاربه واما الثالث فلم يعينه . وعرض هذه الخلافة على السيد السنوسي بعد ذلك فرفضها

ثم عبر النهر الى الضفة الغربية ووجهته جبل ماسا واجتمع حوله الاتباع واتفق ان رجال الحكومة المصرية الذين التقوا به او علموا بمسيره على مقربة منهم اهلوا الايقاع به إما انتظاراً لاوامر الحكومة او لاسباب اخرى فحمل اتباعه ذلك على خوف الحكومة منه . وبلغ رشيد بك مدير فشودا امره فاتفق اثره ولكنه لم يكن عارفاً بمقدار ما بلغت اليه قوته فنجاهته رجال محمد احمد وقتلوا رجاله وعددهم الف واربع مئة قبل ان يطلق احد منهم بندقيته وكان ذلك في ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ فعظم شأنه من ذلك الحين ولا سيما في عين قبائل العرب وجاهر حينئذ انه حر المهدي المنتظر ( وستطلق عليه هذا الاسم بعد الآن ) وكتب الى جميع الاقطار يدعو الناس الى الجهاد وسمى اتباعه انصاراً ووعدهم باربعة اخماس الغنائم وابقى الخمس لنفسه . وكان اتباعه من الصعاليك المستضعفين واكثرهم عراة الابدان فلم يكن لجنود الحكومة مرغب في محاربتهم اذ لا غنيمة من ورائهم على الاطلاق اما هم فكانوا على الضد من ذلك جياحاً عراة فكل جندي يقتلونه يجدون معه ما يسد الرمق ويستر البدن

ولما تغلب على مدير فشودا ادركت الحكومة جسامه الامر وبعثت يوسف باشا شلالى

وعبد الله ولد دفع الله ومعهما ستة آلاف من الجنود المنظمة وغير المنظمة . واتفق ان عبد الله باشا هذا سقط عن جواده وهو خارج من الابيض فشاءم من ذلك وحذر يوسف باشا من سوء العاقبة ولكن يوسف باشا ورجاله كانوا يحنقون المهدي اشد الاحتقار لانهم كانوا ابطالاً اشداء وقد دواخوا بلاد بحر الفزال وقهروا سلاطين دارفور ولذلك لم يعتدوا به ولا تنازلوا لاقامة زريبة حول مخيمهم فهجم عليهم رجاله وهم نيام صباح اليوم السابع من شهر (حزيران) برينو سنة ١٨٨٢ وقتلوا يوسف باشا وهو في قميص النوم واخذوا في رجاله وقتلوا عبد الله ولد دفع الله ايضاً

وكان انقلاب يوسف باشا على هذا الاسلوب الضربة القاضية على سلطة الحكومة في تلك الانحاء فاعتقد السودانيون ان المهدي انما قهره بقوة الهية ولا سيما لان الاتراك والمصريين حكومهم ستين سنة بذراع من حديد ونكّلوا بهم تنكيلاً فقيام فقيده خامل الاسم وتغلبه على جنود الحكومة وليس معه الا رجال حفاة عمارة يكادون يهثرون جوعاً اتمامه انه المهدي المنتظر كما ادعى

فطاعه جنوبي كردفان وغنم كثيراً من الاموال والخيول والاسلحة ففرقها على رؤساء القبائل فزادهم ايقاناً بدعوته لانهم رأوه لا يهتم بمخاطم الدنيا . وكانت اخبار نصرته تتعاضد بانتشارها في البلاد ويبلغ فيها حتى اشتمت على كثير من الخوارق والمعجزات . وقبائل العرب مائلون بالنظرة الى الحرية والحرب والنهب فراوا فيه ما يروا من ميلهم فخلصوا من دفع الجزية للحكومة وغزوا كل من حسبه مقيماً على ولائها وغنموا امواله

وكان المهدي تجار الابيض وكانوا على جانب عظيم من الثروة وهم من ادرى الناس بضعف الحكومة فانحاز كثيرون منهم اليه ولا سيما الياس باشا اخي تجار كردفان وكان قبلاً مديراً عاماً لها وعزل من منصبه . وكان ينه وبين احمد بك دفع الله ضغائن . واحمد بك هذا هو اخو عبد الله ولد دفع الله الذي قُتل مع يوسف باشا الثلاي كما تقدم وكان صديقاً لمحمد باشا سعيد مدير الابيض يخاف الياس باشا ان يوقعا به اذا انتصرا على المهدي فجعل يجمع الاتباع سرّاً لينحاز بهم اليه ووافق بعض التجار خرقاً من ان المهدي يأخذ اموالهم ويسبي نساءهم اذا كانت الغلبة له

وسر العلماء بقيام واحد منهم لتناوة الحكومة وتوقعوا ان يسلطوا على البلاد كلها تحت رايته ان هو قلب عليها وطرد الاتراك منها

وبعث الياس باشا بابنه عمر الى المهدي لينبئه بحال الابيض ويزين له الزحف عليها

وظنَّ سعيد باشا ان لا بدَّ للمهدي من الزحف عليه فأخذ يستعد للحصار بحفر الخنادق واقامة المتاريس ولكنه لم يشتر ما يلزم من المون

وثارت قبائل العرب في كردفان والجزيرة واقعت برجال الحكومة وهجمت على المدن والقري وخربتها وقتلت اهلها ونجحت ما فيها : فبعثت الحكومة المصرية بعبد القادر باشا مديراً عاماً على السودان فوصل الخرطوم في ١١ مايو ( ايار ) سنة ١٨٨٢ وشرع يحصن المدينة حين وصوله فثبت للناس ان الحكومة تقسمها قد حلت شر المهدي وانها لولا اعتقادها بقدرته ما تأهبت له لهذا التأهب . اما المهدي فقبل دعوة الياس باشا وزحف على الايض عاصمة كردفان وهي من اغنى مدن السودان فتبعه اليها الوف الوف من العرب طمعاً بالسي والنهب وكان دعائه قد سبقوه اليها وانشؤا بين الناس يقتعونهم بدعوته ويحذرونهم عاقبة تحاربه فلم يكذب يضل اليها ويقم امامها اياماً حتى خرج اليه جانب كبير من الاهالي وكان قد وعدم انهم اذا اقصوا ابوابهم وخرجوا اليه امنوا على اموالهم ففعلوا كما قال لهم ولم يأخذوا معهم الا القود

ولما ابتداء الحصار ارسل يطلب من سعيد باشا التسليم فقرر رأي الضباط على قتل رسله فقتلوه وامر سعيد باشا جنوده ان يجمعوا كل ما يجدون في البيوت والمخازن من الخنطة ويأتوا به الى حصن المدينة فجعل الجنود ينهبون بيوت السكان نهباً . وكان المهدي يعظ الناس نهراً وليلاً ويحثهم على الجهاد ويعدم بالفتنم في الدنيا ولجماد النعيم في الآخرة . ويوم الجمعة في الثامن من سبتمبر قام بهم وهجم على المدينة فانها عليهم رصاص الحامية كالسيل وقتل منهم الوفك كثيرة ومن قتل محمد اخو المهدي ويوسف اخو الخليفة عبد الله وكثيرون من الاسراء . ولو اتبع سعيد باشا مشورة احمد بك دفع الله وخرج في اثر المهدي ورجاله لقتله واشحن فيهم وانقرض اسم المهدي من ذلك الحين ولكنه ظن ان ما جرى للمهدي كافٍ لحل عزايمه وإبعاد رجاله عنه فاختأ ظنه وابتعد المهدي قليلاً عن الايض ولكنه بقي مشدداً الحصار عليها وظهر في تلك الاثناء نجم كبير من ذوات الاذناب فارتاع منه اهالي السودان وايقنوا ان ظل سلطة حكومة قد نفس وانه سيزول بسيف المهدي . وارسلت الحكومة التي مقاتل نجدة للايض فلقبها عرب الجوامعة واشحنوا فيها فلم يلب من الاثنين الا مئتان . وحاصر الثائرون بارة وشبت النار فيها فاحرقت مخازنها فلم يمد للوامية شي : فقتات به فاضطرت إلى التسليم لعبد الله ولد النجومي وذلك في اوائل سنة ١٨٨٣ وأتي بضباطها إلى المهدي فعنا عنهم واخذ جنودهم وكانوا من السودانيين وضمهم إلى رجاله . وكان بين الضباط رجل متماق اسمه جبو

وهو كردي الاصل يخضع للمهدي وطلب بركته ثم استأذنه في الزواج مدعيًا انه لم يزل عزبًا  
فسرّ المهدي بذلك وقال اقتدوا بهذا الرجل الصالح في صلاحه ثم اذن له في الزواج واعطاه  
الثقة اللازمة. وجاءه جبو بعد بضعة ايام وهو كاسف البال فقال له ما شأنك فقال طالت  
زوجتي فقال ولماذا رأيتها تبيحة المنظر او سليطة اللسان فقال لا هذا ولا ذلك ولكني طلقتها  
لذنب عظيم جدًا ذلك انني طلبت منها ان تصلي فلم تصلي واتي لا اتدري ان اعيش مع امرأة  
تمهل الصلاة. فسرّ المهدي بيو سرورًا عظيمًا ولا سيما لانه جاهر بذلك على رؤوس الاشهاد  
فاعطاه مالا وفرا. قال سلاتين ورأيت جبو هذا سيفه ام درمان بعد موت المهدي وتولي  
الخليفة عبد الله فذكرته بهذه الحادثة فقال " ان المهدي على كثرة شروره لم يكن شديد  
الخبث وكان الانسان يستطيع احيانًا ان ينتفع منه ولكن ويل لمن ينتظر تنعًا من الخليفة  
عبد الله "

ولما بلغ المهدي خبر تسليم بارة اطلق مئة مدفع احتفالًا بذلك فسمعت حامية الايض  
صوت المدافع وظنت ان مددًا كبيرًا اتاه ثم بلغها سقوط بارة فزادت اسفًا على أسف. ودام  
الحصار خمسة اشهر وقلّ القوت من المدينة وبيع اردب الدخن بربع مئة ريال والجل بالف  
وخمس مئة ريال والفرخة بربعين ريالًا والبيضة بريال او ريال ونصف فبات أكثر السكان  
والحامية جوعًا واخيرًا اضطر سعيد باشا ان يسلم وكان عازمًا ان ينسف مخازن البارود قبل  
التسليم ولكن الضباط توسلوا اليه ان لا يفعل خوفًا على من بقي حيًا من نساءهم واولادهم.  
ووعده المهدي قبل التسليم انه لا يتأله شيء من الاذى هو وضباطه وتجار المدينة وارسل  
اليهم محمد بن المريقي بالجيب المرقعة التي يلبسها الدراويش فلبسها هو ومحمد بك اسكندر  
القومندان واليكباشي نسيم افندي واحمد بك دفع الله ومحمد بك حن وغيرهم من الضباط  
فخرجوا الى المهدي فقابلهم جالسًا على جلد المعزى شان الانتفاء الزماد فقبلوا يديه فقال انه  
عاذر لم على مقادرتهم لانهم لم يكونوا يصدقون دعوته ثم طلب منهم ان يقسموا له يمين الطاعة  
فاقسموا فقدم لهم قمرًا وماء وطلب منهم ان يتركوا نعيم الدنيا ولا يهتموا إلا بالحياة الاخرى .  
ثم التفت إلى سعيد باشا وقال له انت تركي فلا الومك على الدفاع عن المدينة التي كنت  
واليًا عليها ولكنك اسأت بقتل رسلي لانه ليس من العدل ان يقتل الرسول . ولم يتم كلامه  
حتى اجابه اسكندر بك قائلاً ان سعيد باشا لم يقتل رسلك بل انا الذي امرت بقتلهم بصفتي  
قومندانًا للصوص لاني حسبتهم عصاة واني قد اسأت في ذلك كما قلت . فقال المهدي  
اني لم اقصد يسؤالي ان تبرروا انفسكم لان رسلي قد فازوا بما ظلموه فانهم كانوا يتنون ان

بوتوا شهداء فكان لهم ما تنوّه من فضل الله وهم الآن يتمنون بفتح الجنة وعسى ان تقتني  
كلنا خطواتهم

ثم نُبت الايض ولم يترك لسكانها شيء بل كانوا يُجلدون وبعذبون لكي يدلوا على  
الاماكن التي اخفوا فيها اموالهم . وكان سعيد باشا على جانب عظيم من التروة فطلب منه  
احمد ولد سليمان امين بيت المال ان يدلّه على امواله فانكرها وبلغ المهدي ذلك فاستخضره  
اليه واوصى امين بيت المال ان يفري عبيد سعيد باشا ليدلوه على المكان الذي اخفى فيه  
امواله ثم جعل يسرد له قواعد الدين ويبين له زوال الدنيا ويسأله مرة بعد اخرى عن  
امواله فيجب ان ليس عنده اموال فيعود المهدي إلى الوعظ والانذار وكان ذلك بمحض  
انصاره واتباعه . واهتدى امين بيت المال إلى جارية من جوارى سعيد باشا دبت على  
المكان الذي اخفى فيه مولاها امواله فدخل واسر ذلك الى المهدي فظاهرا به لم يلتفت اليه  
وبقي يعظ وينذر ويسأل سعيد باشا عن امواله ويقول " ان المال اصل كل الشرور "  
وهذا ينكر انه اخفى شيئا واخيرا قال له المهدي

" أنظني مثل باقي الناس ألا تعلم انني المهدي المنتظر وان النبي أوحى اليّ بالمكان  
الذي خبأت اموالك فيه " ثم نادى احمد ولد سليمان امين بيت المال وقال له " اذهب الى  
بيت هذا التركي واقب الحائط بقرب الباب عن يسارك فتجد كتوزة تجثي بها " فذهب وعاد بعد  
برهة قصيرة ويده صندوق من الصفيح ففتح المهدي واذا فيه نحو سبعة آلاف جنيه ذهباً  
ثم التفت الى سعيد باشا وقال له " قد سأمحك " وقال لامين بيت المال " خذ هذه  
النقود ووزعها على الفقراء والمحتاجين " . ثم التفت إلى احمد بك دفع الله وقال له " اليك  
عن هذا الرجل ( اي سعيد باشا ) فانه عبيد وثق بي فيكون لك كل ما تريد ولقد نصحت  
اخاك سرّاً ولكنك ابى الا ان يبقى مع اعداء الله فاهلكم الله وذراهم امامي كالعصافه امام  
الريح فلا تكن مثله بل فخر نفسك حتى اذا انقضت هذا الحياه الدنيا تتمتع بمسرات الجنة " .  
فقال احمد " اني لا اريد ان ادخل جنة ليس اخي فيها " قال ذلك وخرج . ولم يفه المهدي  
بنت شفة . واشتهر حالاً ان سعيد باشا ابى ان يخبر المهدي بالمكان الذي اخفى فيه امواله  
فأعلمه النبي به وصار ذلك حديث الناس وكانوا كلهم يقولون ان الله ارسل المهدي ليهلك الاتراك  
ويظهر من القليل الذي ذكره سلاتين باشا من كلام المهدي بنحو مكتوباً بحروف  
انكليزية ان لغته سقيمة جداً مثل لغة عامة الناس كقوليه عن سعيد باشا " دا ما يينفع معنا "  
ولكننا اضطررنا ان نترجم كلامه كله بلغة معربة لان نص عبارته لم يذكر الا في فقرات قليلة

واشتغل المهدي حينئذ بإرسال الرسائل الى جهات السودان يدعو المؤمنين إلى طاعته  
 وبند طاعة الحكومة المصرية والملاذات الدينوية وبنهاهم عن السكر والتبغ  
 وكتب سعيد باشا تقريراً عن تسليم الابيض ابان فيه انه اضطر الى ذلك لما لم يبق  
 له مناص منه وختمه هو وكل ضباطه وارسله الى الخرطوم مع رسول وكان بين الخاتمين  
 ضابط اسمه يوسف منصور يخاف ان يقع هذا التقرير في يد المهدي فينتقم منهم جميعاً فمضى  
 اليه ووقع على قدميه واخبره بما جرى ورأى في طريقه محمد بك اسكندر فاتفقوا ان يفعل مثله  
 ففعل. فافتتحت اثر الرسول حالاً وأخذ التقرير منه وشاع حينئذ ان النبي ظهر للمهدي واخبره بهذا  
 التقرير. واغتنم المهدي تلك الفرصة للانتقام من الذين امضوا التقرير فنفاهم ثم قتلهم وعفا  
 عن يوسف منصور ومحمد بك اسكندر وجعل الاول منهما قومداً على المدافع

وبقي يحث الناس على ترك اوطانهم والمجيء اليه والاشراك معه في الجهاد وكان يعظمهم  
 دائماً ليركوا اللذات قائلاً اني اخرب الدنيا واعمر الآخرة. فجاءه الناس افواجاً افواجاً الى  
 الابيض رجالاً ونساء واولاداً وكلهم تائبي الى رؤيته وسامع كلامه وكان يلبس جبة وسراويل  
 ويتنطق بمنطقة من خوص ويضع على رأسه طاقية مكية يلف حولها عمامة بيضاء ويتظاهر  
 بالخشوع والاتضاع اذا كان في مشهد الناس واذا دخل بيته خلع رداء التسك وانغمس في  
 الملاذات الطعام والنساء. فان رجاله كانوا يرسلون اليه النساء والبنات اللواتي يسبون فيختار  
 كل الجيلات منهم ويضيفن الى نسائه

ورأى بعد فتح الابيض ان يعين الخليفة الرابع فكتب إلى السيد السنوسي يعرض عليه  
 الخلافة وارسل الكتاب مع طاهر ولد اسمحي الزغاوي فلم يلتفت السيد السنوسي الى الرسول  
 ولا اجاب الكتاب

وكان قد اخذ في تظيم البلاد التي خضعت له فاندأ بيت المال كما تقدم وجمع فيه العشور  
 والقطر والزكاة وهما ربع عشر الغنائم والاموال التي تؤخذ من المجرمين الذين يسرقون  
 او يسكرون او يدخنون التبغ وسلم ادازته لصديقه احمد ولد سليمان. واقام قاضياً سماه  
 قاضي الاسلام لبقضي في الدناوي وكان هو وخلفاؤه يداقرون كل من عدوه تجرماً من  
 غير معاكدة ولا سباً اذا تجاسر على التثك في دعوته. وعقاب من اتهم بذلك الموت. ولما كان  
 هذا مخالفاً للسنة امر ان تحرق كل كتب الفقه والحديث ولا يبقى الا القرآن ونهى الناس  
 عن تنبيهه. وكانت الدائرة تدور على اتباعه احياناً كثيرة ولكن الناس لم يكونوا يذكرون  
 الا نصرايه لتسلط الزهم على قلوبهم

وامتدت الثورة في دارفور وبذل سلاتين باشا جيده في اخادها فلم يمتطع واخيراً خاضه أكثر رجاله ولما يش من المدد واعياؤه واعيا رجاله الجوع اضطر الى التسليم. وكان في دارة قاعدة بلاد دارفور الجنوبية ضابط غني جداً اسمه زقل بك وكان من اقارب المهدي فكاشف بعض اخصائه بالانحياز اليه فاستدعاه سلاتين باشا وقرعوه فآثر بذلك ناسباً ميله الى المهدي الى ما بينهما من النسب ولكنه قال انه لم يزل اميتاً في خدمة الحكومة. فطلب منه سلاتين ان يحمل له رسائل الى الخرطوم وان يبذل جهده ليشبع المهدي عن الزحف على دارفور الى ان تصل الحملة التي ارسلتها الحكومة المصرية لتأيد سلطتها في السودان فان نجحت الحكومة فسلاتين يشفع به عندها والا فيسلم البلاد للمهدي عامرة وخير له ان يستلمها عامرة من ان يستلمها خربة. اما الرسائل التي ارسلها معه الى الخرطوم فوصف بها احوال البلاد بالاخصار. ثم حلف زقل بالطلاق ان يكون اميتاً في ما ائتمن عليه وسار الى الايض فاطلق له المهدي مئة مدفع ترحيباً به وشاع حينئذ ان بلاد دارفور سلت كلها للمهدي فلم تبقى حاجة للزحف عليها. فصار المهدي يهتم ببلاد النيل وبعث الامراء الى جهات مختلفة وفي جملتهم عثمان دقنه وهو محتاس من سواكن بعث الى شرقي السودان لعله يمرس الحكومة المصرية وينمها عن ارسال حملة حكس باشا لكن الحملة ارسلت وقام حكس باشا من الخرطوم في سبتمبر سنة ١٨٨٣ والتقى بعلاء الدين باشا في دوم وسارا سوية وقد اخطأت الحكومة المصرية في ظنها ان حكس ورجالها العشرة آلاف يستطيعون ان يخذلوا الثورة ويقهروا المهدي بعد ان تدلب على كردفان كلها واخذ الاسلحة من حاميتها وضم جيوشها الى جيوشه

ووصف سلاتين جنود حكس وسيرها وصفاً يدل على ان الخوف كان مسئولياً على نفوسها وان حكس نفسه سار سير المستقل. وفر رجل من جيشه ومضى الى المهدي واخبره عما فيه من الخلل وما يلاقيه من الضاء اثناء الطريق من قلة الماء فوثق المهدي بالغلبة وقال لرجال ان النبي ظهر له ووعد بهشرين الف ملاك يقبلون لتجدته. وكانت الحكومة المصرية قد اكدت لهكس باشا انه يجد نجدة في اثناء الطريق من ستة آلاف مقاتل ويجد اناساً يهدونه الى الماء فلم يجد غير جنود الاعداء ترصده في سيره فخارت عزائم جنوده وجعل المصريون منهم يتادون "مصرفين ياستي زينب دي الوقت وقتك" فيجيبهم السودانيون "ده المهدي المنتظر ده المهدي المنتظر". ثم هجم عليهم أكثر من مئة الف مقاتل من رجال المهدي دفعة واحدة ودخلوا المربع فلم يثبت منه امامهم الا الضباط الاوربيون وفرسان

الاتراك فانهم بقوا في مواقعهم إلى ان قتلوا عن آخرهم ونُطع رأس هكس باشا ورأس  
 انبارون سكندورف وارسلوا إلى المهدي . والذين نجوا من رجال هكس باشا وسلموا اسلحتهم  
 لم يسلموا من القتل . وغنم رجال المهدي كل الاسلحة والميرة وجردوا القتل من ثيابهم واخذوا  
 معها يوميات بعض الضباط الاوربيين واطلع سلاتين عليها بعد ذلك فوجد ان الخلاف كان  
 مستحكماً بين هكس باشا وعلاء الدين باشا وان الجنود والضباط كانوا في حالة اليأس الشديد  
 وغني عن البيان ان هَذَا النور المبين اخضع اهالي السودان عموماً لسلطة المهدي  
 وقوى اعتقادهم به حتى كادوا يعبدونه عبادة

وحاول سلاتين باشا ان يحفظ بلاد دارفور ولكن لما بلغه ما حل به هكس وحملته أيقن  
 بالهلكة وكانت قبائل العرب قد اجتمعت وحاصرت في دارة فاضطر إلى التسليم وكتب الى  
 المهدي بعرض عليه التسليم بشرط ان يرسل واحداً من اقاربه يسلم له البلاد وان يؤمن من  
 فيها على دمايتهم فعين المهدي زقل المتقدم ذكره مديراً للموم بلاد الغرب نسلم له سلاتين  
 في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٣ بعد ان بذل جهده في تأييد سلطة الحكومة المصرية مدة اربع  
 سنوات واخذ ثورات كثيرة وعرض نفسه للقتل مراراً . واعطاه زقل كتاب المهدي  
 وفيه انه عين السيد محمد خالد ( اي زقل ) اميراً على الغرب واوصاه ان يعامل سلاتين  
 بالاكرام الذي يستحقه مقامه ويعنوعن كل الذين كانوا في خدمة الحكومة . وكان بين  
 الامراء الذين حاصروا دارة قبلاً وجاءوا مع زقل الآن امير عربي اسمه مادبو وكان سلاتين  
 قد قهره مرة واخذ طبوله فتقدم الى سلاتين واظهر له صدق ولائه ونصحته نصيحة كررها  
 سلاتين بعد ذلك مراراً وهي " اصبر فان الله مع الصابرين " ثم اهدى اليه جواده واسمه صقر  
 الدجاج وهو من اجود خيول العرب . فاراد سلاتين ان يرد الهدية قائلاً ان الاحوال  
 الحاضرة لا تأذن له بركوب الخيل . فقال له مادبو " اللي عمرو طويل يشوف كثير " .  
 فاخذها سلاتين مثلاً وكررها بعد ذلك مراراً وقيل منه الجواد ورد له جابول الحرب التي  
 غنمها منه وهي عندهم مثل رايات الحرب عند الاوربيين . فشكره مادبو على ذلك وقال له  
 " الرجال شراده وراه " اي تغلب وتغلب

ودخض رجال زقل دارة ونهبوها وغنموا كل ما فيها وعذبوا اهلهما عذاباً اليماً ليدلوا على  
 اموالهم . واخذوا كل البنات الحسان وارسلوهن الى المهدي . وكانت حامية الفاشر قد  
 قبلت بالتسليم فلما بلغها ما حل باهل دارة عزمت على الدفاع ودافعت سبعة ايام فعلت فيها افعال  
 الابطال لكنها اضطرت الى التسليم اخيراً لقلعة الماء فهبت عاصمة ملوك دارفو وعذب اهلهما

عذاباً مبرحاً . وحكم زقل البلاد وجمع ثروة وافرة وكان يعرف كيف يرضى المهدي  
 وخلفائه الثلاثة فيرسل اليهم وقتاً بعد آخر سرباً من البنات الحسان والحياد والابل .  
 وتزوج باخت سلطان دارفور السابق وعاش بالبذخ والاسراف كأنه ملك عظيم الشأن  
 ولكنه لم يتبع بالملاذ زماناً طويلاً . فلما مات المهدي وخلفه عبد الله التعايشي فتك  
 باقر باه المهدي فخاف ان يتمتض زقل عليه فاستدعاه بحيلة وابعده عن رجائه واتباعه  
 وجردوه من سلاحه واخذ امواله وارسله الى الابيض مكبلاً بالقيود فبقي حولاً كاملاً  
 يتأسف ويتندم ولات ساعة مندم . ثم عفا عنه ورد اليه سبياً من امواله وجعله اميراً  
 على دنقلة . لكن يعقوب اخاه الذي له اليد الطولى في كل دسية تأول الى تمزيقه واهلاك  
 كل من ينازعه السلطة كاد زقل مكيدة اخرى فاستدعي الى ام دربان واتهم بانه طعن على  
 التعايشي وعلى اقاويه وقال انهم خربوا البلاد فحكم عليه بالسجن . ثم ان جريدة من الجرائد  
 العربية نقلت عن جريدة ايطالية ان زقل هذا يخاطب الحكومة المصرية سراً بسلام دنقلة  
 اليها فترعت الجريدة في يد التعايشي فجمع القضاة والاراء واراها ما ورد فيها حاسباً اياه  
 دليلاً قاطعاً على خيانتة فحكوا عليه بالقتل لكن التعايشي لم يقتله بل كبله بالحديد وناه  
 الى جبل الرجاف منى اشقى المفضوب عليهم  
 ودعا المهدي سلاتين اليه بعيد تسليمه ورحب به وامره ان يأتمر بامر الخليفة عبد الله .  
 وبايعه سلاتين البيعة المعتادة وهي " باسم الله الرحمن الرحيم بايعنا الله ورسوله وبايعناك على  
 توحيد الله ولا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نأثم في بهتان ولا نعصاك في المعروف .  
 بايعناك على ترك الدنيا والآخرة ولا نفر من الجهاد " . والظاهر ان سلاتين لم يفهم معنى  
 البيعة فهو يظن ان المهدي هو الذي بايعه  
 وكان المهدي طويل القامة اسمر اللون واسع المنكبين قوي البنية كبير الرأس اسود العينين  
 اسود اللحية على كل خدي من خدي ثلاثة جراح حسب العوائد الشيعية عند قوميه وهو يتسم  
 كثيراً ليظهر فليح اسنانه وفتح الاسنان مستحب جداً في بلاد السودان ولذلك لقبوه ابا فلجة .  
 وكان يلبس جبة قصيرة . طيبة بالعود والمسك وعطر الورد . وكان اتباعه يسبحون رائحته رائحة  
 المهدي ويقولون انها مثل رائحة اهل الجنة  
 وفي تلك الاثناء وصل غوردون باشا الى الخرطوم ولا جنود معه عازماً ان يخذ الثورة  
 بما له من المهابة في النوس ومن الخبرة باحوال السودان فحبطت مساعيه وقتل شرقتة كما  
 سيجي في الجزء التالي